الطائفية السياسية ، والحقائق الاقتصادية في لبنان

حسين ابو النمل

الفتنة الطائفية في لبنان والتي لم تكتمل فصولها بعد ، فتحت المجال واسعا أمام احاديث شتى عن قبرصة لبنان وعن الانسحاب من الجامعة العربية وعن الغرباء ودورهم في تخريب لبنان ... وغيرها من الاطروحات التي كانت تجد فرصتها في تزايد الحريق الطائفي وانتقاله من منطقة لأخرى حسب المخطط المرسوم للفتنة .

لقد ساهمت الحوادث الاخيرة في تزايد الاتجاهات الطائفية لدرجة حدوث عملية فرز طائفي في بعض المناطق نتيجة للارهاب الجماعي الذي كان يرتكب على أساس طائفي وردود الفعل التي كانت تحدث ، برغم الموقف الواضح الذي لعبته الحركة الوطنية اللبنانية لضبط ردود الفعل الطائفية ولوضع الصراع في لبنان ضمن مجراه الطبقي معبرا عن هذا الصراع بوسائل سياسية .

ان هذه الازمة والتعبيرات التي أخذتها تفرض الوقوف بشكل علمي أمام هذه المسألة ، لتحديدها وتحديد الوسائل الكفيلة بحلها ، ضمن السؤال المنطقي المطروح ، لمصلحة من حدث ما حدث ، لمصلحة لبنان ؟ وأي لبنان تخدم الحوادث الأخيرة ؟ ومن المستفيد من شعار قبرصة لبنان الذي بدأت تغذيه بعض الاوساط الانعزالية ؟ ولبنان هل هو مجرد كلمات ، أم ان لبنان المزدهر اقتصاديا هو موضوع يرتبط بأسبابه المادية التي لا بد وان تلحظ بدقة وتراعى بشكل كامل . وذلك لا يكون الا من خلال مواكبة الحقائق المستجدة في الوضع اللبناني وتطوير البنية السياسية والدستورية لهذا الكيان بما يتناسب والحقائق الجديدة . ان عدم تناسب الوعاء السياسي مع ما يتضمنه هذا الوعاء من حقائق اقتصادية واجتماعية لا بد وأن يؤدي بالضرورة الى تفجر الوعاء ليتسع لهذه الحقائق . وان خلق هذا التناسب ليس مصلحة لطائفة دون الاخرى ، بقدر ما هو مصلحة لأهل هذا البلد جميعا والتي تكمن في بناء لبنان الحديث . فقد مضى وقت طويل على الطريقة التي نظمت بها أمور الدولة ، وهي وان راعت بعض الاعتبارات والمصالح بمقياس الاربعينات ، فلقد سقطت تلك الاعتبارات وأصبح التغيير من مصلحة حتى المستفيدين من الترتيبات الدستورية الحالية . وكما سيتضح من العرض التالي فالتبديل ليس مسؤولية الطوائف المحمدية بقدر ما هو مسؤولية الطوائف المسيحية أيضا . ولا يمكن لنا ادراك ابعاد هذه المسألة الا من خلال رصد الاساس الذي قامت عليه مشكلة الطائفية والقدر الهائل من التطور الذي طرأ على هذا الاساس .

ان قضية الطائفية في لبنان ليست قضية مفتعلة أو قضية جديدة بل هي قضية قديمة ولها جذورها التاريخية . ومهما عددت من أسباب لقضية الطائفية فلا شك في أن